المشهد
العدد 337 - السنة الثالثة عشرة - الأحد 10 نوفمبر 2024 م الموافق 8 جمادى الأولى 1446 هـ

قالت العرب

وكأني أيتها الملكة من بطنك كالعصفور خرجت
هل عندك شك أنك جزء من ذاتي
وبأني من عينيك سرقت النار
وقمت بأخطر ثوراتي
أيتها الوردة والياقوتة والريحانة والسلطانة والشعبية والشرعية بين جميع الملكات

(نزار قباني)

هوشنك أوسي: نحن أبناء الشرق الأوسط نعيش لننزح ونهاجر قسرًا أو طوعًا

أدافع عن القضيّة الكرديّة أو الفلسطينيّة أو السوريّة بوصفها تراجيديّات إنسانيّة عميقة

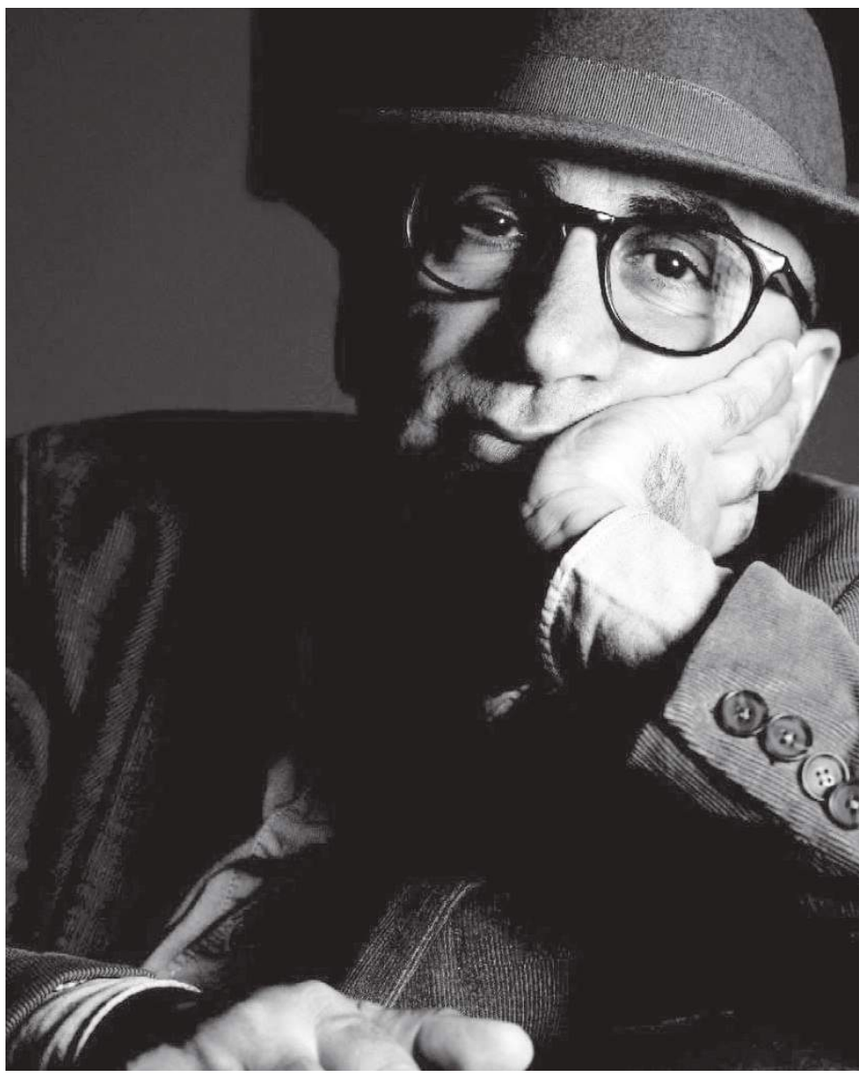

أحبُّ مصرَ لسبعة أنيال تجرى فيها؛ نيل الأدب، نيل السينما، نيل المسرح، نيل الدراما، نيل الرواية، نيل النقد، نيل الصحافة، وثامنها؛ النيل العظيم الذى يتدفّق منذ الأزل وإلى الأبد.

● تميل فى عناوين روايتك إلى العناوين المركّبة مثل "وطأة اليقين: محنة السؤال وشهوة الخيال"، "الأفغاني: سماوات قلقة"، "بالوكالة عن الغيب: بالأصالة عن الكارثة"، وروايتك الأخيرة "مبنى للمجهول: نقطة من أول السطر".. ما السر وراء ذلك؟

هو نوع من محاولة الاجتهاد، لا أكثر. بطبيعة الحال، لا أميل إلى العناوين المباشرة البسيطة التى تخبر، بل أجدنى أكثر ميلاً للعناوين التى توحي. لا أريد لدواوينى الشّعريّة ورواياتى أن ينطبق عليها القول الدارج: "المكتوب مبيّن من عنوانه". أحاول بهذه الطريقة تحريك أسئلة القارئ بشكل عام، وأسئلة الناقد على وجه الخصوص، وافتح لهما قوسًا لتحليل العنوان الرئيس والعنوان الفرعي، ومدى العلاقة بينهما من جهة، وعلاقتهما الضمنيّة والبنيويّة بمتن الرواية من جهة ثانية. اختيار عنوان رواية بالنسبة لي، لا يقلّ خطورة وأهميّة من انتقاء اسم لابنى أو ابنتي، ينبغى أن يتوفّر فيه نسبة اختلاف + نسبة المعنى والدلالة + نسبة غموض والتباس + نسبة جذب وتشويق وتحفيز طاقة البحث والتحرّى لدى القارئ. ومسألة النجاح أو الفشل فى هذا الاجتهاد الأدبي، منوط بقدرات الشريك الآخر فى تحريك مستويات التلقّي، وعنيتُ به؛ القارئ والناقد.

مهمّتى فى أثناء اقتراف الكتابة الأدبيّة ليس فقط إمتاع ذاتى وحسب، بل إمتاع الشريك الآخر أيضًا، وتحريك خيالاته وأسئلته. شيءٌ يشبه ممارسة الحبّ بين شريكين، العلاقة بينهما يفترض ألاّ تكون أنانيّة لطرف على حساب طرف آخر، بل متعةً متبادلة ومتوازنة ومتساوية.

● صدرت مؤخرًا روايتك "مبنى للمجهول.. نقطة من أول السطر"- وهى السادسة - ما الذى أضافته هذه الرواية لمنجزك الروائي؟

- سؤالك هذا مفخخ بشحنة أو حمولة نقديّة تجعلنى انتقل من ضفّة الكاتب المؤلّف إلى ضفّة القارئ الناقد. فى مقام التقييم والنقد - وهو ليس مقامى طبعًا - استصعبُ الحديث عن أعمالي. إنْ تحدّثت وأجبت على سؤالك، سأقع فى فخّ المتفاخر بشغله الروائى وتصدير تجربته الروائيّة، وإنْ لم أجبك، سأقع فى فخّ العاجز عن محاولة تقديم تصوّر مقتضب يحيط بالجديد فى هذه الرواية. لقد وضعتنى بين فخّين استفزازيين يا دكتور حجراوي.

فى تقديري، حاولت أن تكون نسبة الاختلاف فى هذا العمل السردى مركزّة على الفكرة الرئيسة، وحزمة الأفكار المندرجة ضمن حيوات شخصيات الرواية، وعلى ألسنتها. ثمّة تقاطعات بين حيوات حقيقيّة وأخرى مختلقة، والرواية من بابها لمحاربها، من ألفها إلى يائها، متخيّلة - مختلقة. ضمن هذا الجوّ التخيّلى العام، ثمّة أماكن وشخصيّات وأحداث حقيقيّة، ثمّة أقدار متقاطعة، وأحيانًا متنافرة.

كانت رواية متعبة لي، قياسًا بسابقاتها. وغالب الظنّ أنّها ستتعب القارئ أيضًا. لم أكتبها بهدف امتحان القارئ، أو إتعابه، لا قطعًا. أنا أتعب على امتداد أسابيع وأشهر لأجل منح قارئى لحظة متعة وفائدة. كنتُ وسأبقى أقدّم نصًا روائيًا معرفيًا تتحرّك فى فضاءاته الأسئلة والأفكار وطاقة المراجعة والمساءلة والنقد. الكتابة عمومًا والرواية على وجه الخصوص؛ موقفٌ نقديٌّ من الحياة والتاريخ والمجتمع.

لا أعرف، إذا كنتُ قد أخرجت نفسى من مأزق سؤالك ومحنة الإجابة عليه، أم لا؟ الأجدى بي، تركُ الإجابة للقارئ.

● يحضر الجانب السياسى فى أعمالك الإبداعية فكيف ترى ما يجرى على الساحة الآن فى قطاع غزة ولبنان؟

- هى حربٌ قذرةٌ وقودها الشعارات والعنتريات والكلام الخشبى عن هيبة إسرائيل وهيبة المقاومة، وطرفاها أجنبيّان، وأدواتها جهات محليّة وحطبها المدنيون اللبنانيون، الفلسطينيون والسوريون. كما كانت الحرب السوريّة عار على جبين المجتمع الدولي، كذلك الحرب الدائرة فى لبنان حاليًا. ويبدو أن جبين المجتمع الدولي، بات لا يخجل بل يتفاخر بوصمات العار التى تلطّخهُ.

فى شغلى الروائى الّذى أثمر حتّى الآن ستَ روايات، كلّها ضدّ الحرب وكوارثها. فى روايتى الأولى "وطأة اليقين" تحضر لبنان. وفى رواية الأخيرة "مبنى للمجهول" تحضر لبنان مرّة أخرى، بشكل مختلف.

لا تسألنى عن حضور الحروب فى رواياتي؟ يكفى أنّنى سورى وكردى وشرق أوسطي. هذه المنطقة مصابة بلعنة الحروب العبثيّة تحت بريق شعارات خادعة وكاذبة، عقائديّة، دينيّة، قوميّة، وطائفيّة.

ما يجرى الآن، ليست حرب لبنان واللبنانيين، بل حرب الآخرين على الأرض اللبنانيّة. وهناك جمهرة من المثقفين بخاصّة منهم ذوى الميول اليساريّة، مخدوعون بزيف ادعاءات وخرافات المقاومة وينظرون إلى نظام الولى الفقيه الطائفى الدينى فى إيران، نظرتهم إلى الاتحاد السوفياتى السابق فى حقبة الخمسينات والستينات! المؤسف أن من هؤلاء مصريون ينظرون إلى طهران بوصفها قلعة الصمود والتصدى والمقاومة، وهم يدركون أنّ النظام الإيرانى أطلق اسم قاتل الرئيس المصرى السابق، ومهندس انتصار أكتوبر أنور السادات، على شارع فى طهران.

فى خمس من رواياتى تحضر القضايا العادلة كقضيّة الشعب الفلسطينى وقضيّة الشعب الكردي. وفيها انتصار لهاتين القضيتين ضدّ من يعاديهما، وهم معروفون. بمعنى آخر، فى مقالاتى ورواياتي، هاتان القضيّتان ليستا قابلتين للنقاش والتفاوض بالنسبة إليّ. لكن، ماذا تقول لمن أدمن اللغو الأيديولوجى والديماغوجيّة القوميّة والعنصريّة. أولئك الذين يجرّدونك من أيّة قيمة إنسانيّة وثقافيّة، ويخوّنونك إذا أشرت إلى جهلهم وجريهم وراء الخرافات والأوهام التى تصدّرها الأنظمة فى إيران وتركيا وسوريا إلى سوق الشعارات والكلام الشعبوى فى العالم العربي؟

● هل من الضرورى أن يكون الكاتب صاحب موقف سياسى تجاه قضايا عصره؟!

- طبعًا. الكتابة موقف نقدي، ومراجعة نقديّة، تجاه الثقافة، السياسة، الاقتصاد، المجتمع، التراث...الخ. موقفٌ واضحٌ وصريحٌ وجريء، سواء أكان داخل النصّ أو خارجه. لا يمكن أن يكون النصّ الروائى نقيض موقف كاتبه من القضايا. لا يمكن أن يكون مع فلسطين على السوشيال ميديا، ويتجاهلها فى قصصه ورواياته وكأنّها غير موجودة. لا يمكن للكاتب أن يكون ثوريًا قوميًا على السوشيال ميديا، ويعيش فى حالة غيبوبة فى نصوصه الروائيّة متجاهلاً مظلوميّات شعوب وأوطان!

فى المواقف من القضايا والإشكاليّات الفكريّة والسياسيّة، إمّا أن تكون أو لا تكون، شريطة أن تحفظ للآخر حقّ الاختلاف المقرون بالأدلّة العقليّة، وليس العاطفيّة، إن كان فى وسعه تقديم ذلك.

● هل صحيح كل من ينتقد التيارات والاحزاب المدرجة كمقاومة هو انهزامى ومع العدو أو يشرعن الاحتلال؟

- هذا ضرب من ضروب الهبل والخبل والمزايدات الوطنيّة والثقافيّة الفارغة والمضحكة. قبل أيّام طرحتُ سؤالا على كاتبة مصريّة: ماذا لو تعرّضت مصر إلى استهداف من قبل "حزب الله" اللبناني، أو حركة "حماس" الفلسطينيّة، هل ستعتبرينهما مقاومة وتستحقان الدعم والمساندة؟

فورًا، من دون تردد، أجابت بالنفي. قلت لها: لماذا ينظر بعض المصريين إلى بعض السوريين الذين ينتقدون حزب الله على أنّهم خونة وعملاء وانهزاميين وبائعى ذمم وضمائر، ومعروف للقاصى والدانى مستويات توغّل وتغوّل هذه الجماعة الإيرانيّة الهوى والميل والإرادة فى الدم السوري؟

فى تقديرى المواقف الأخلاقيّة والمبدئيّة للمثقف فى مصر وتونس والجزائر والمغرب...، من أيّة جماعة تزعم المقاومة، لا ينبغى أن تكون على هذا النحو: "هذه الجماعة أو الميليشيا تبقى مقاومة، لحين استهدافها بلدى مصر أو تونس أو الجزائر أو المغرب، وقتذاك، تسقط عنها تلك الصفة. لكن، طالما بقيت هذه الجماعة متورّطة فى الدم اللبنانى أو السورى او اليمني، فلا ضير فى ذلك، المهم أنّها تضرب إسرائيل"!

● بالتأكيد هناك أدب مكتوب باللغة الكردية فكيف تقيمه وهل اللغة عائق فى وصوله للناس.

- طبعًا هناك أدبٌ كرديٌّ ثريٌّ وعميقٌ جذوره ومتنوّعُ اللغات. أدب كردى مكتوب باللهجة الكرديّة الفصيحة؛ الأحرف اللاتينيّة. وأدب كردى مكتوب باللهجات الصورانيّة والزازاكيّة والهورمانيّة. وأدب كردى مكتوب باللغات العربيّة والتركيّة والفارسيّة... ولغات أخرى. يعني، أدب بهذا القدر والكمّ من الروافد، هل يمكنك تصوّر مدى قوّته وغزارته!

العائق الأكبر كان المنع والحظر الذى فرضته الأنظمة فى سوريا وتركيا على اللغة الكرديّة وأدبها. ومع بداية الألفيّة الثالثة، وأمام الثورة التقنيّة، ذلك العائق، لم يعد موجودًا إلاّ فى الذهنيّات والعقليّات الأمنيّة التى رضعت من ثدى البعث أو الأتاتوركيّة لعقود.

● هل تجد ذاتك أكثر فى اللغة العربية أم الكردية؟

- فى اللغتين معًا. قلتها وأكرر: اللغة العربيّة هى لغتى الأمّ الثانيّة. ويا ليتنى أجيد لغة ثالثة. أنا كائن ثنائى اللغة. اللغتان العربيّة والكرديّة هما جناحاى اللذان أطير بهما أُحلّق، هما الشرايين والأوردة فى جسد العمليّة الإبداعيّة، والدم الذى يجرى فيها، هى الأفكار والخيالات التى تغذّى نصوصى الأدبيّة.

إذا فَسُدَ ملح النقد فَسُدَتِ الذّائقة العامّة واختلط الحابل بالنابل والغثُّ بالسمين والإبداع بنقيضه

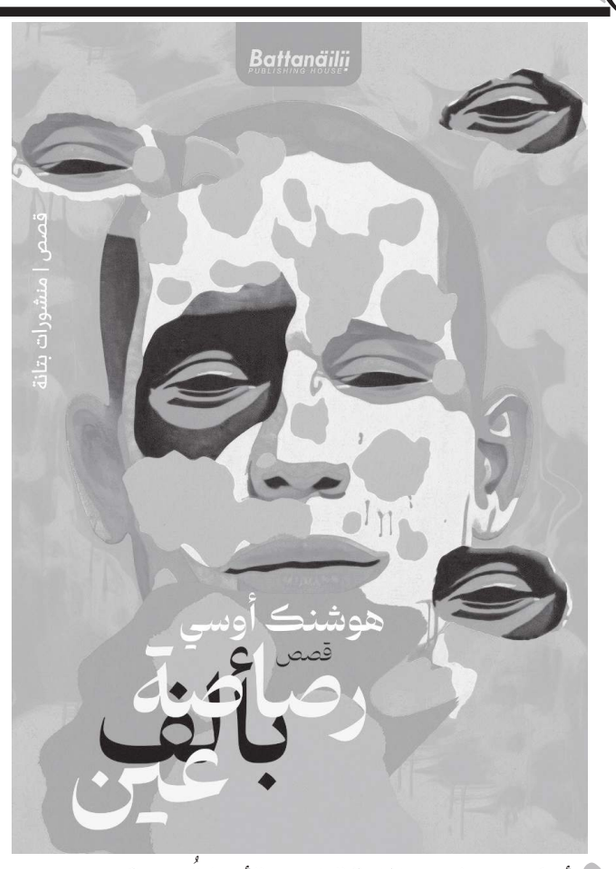

أنا كردى مفعم بالثقافة العربية أخذتُ من الكرد عنادهم، ومن العرب بلاغتهم ومن الفرس حكمتهم، ومن الترك قوّتهم ولؤمهم

● ماذا تمثل لك كلمة هوية؟

- أن أكون حرًا، وقيمة مضافة إلى حياة الآخرين. أنْ أدافع عن القضيّة الكرديّة أو الفلسطينيّة أو السوريّة... بوصفها تراجيديّات إنسانيّة عميقة، وليس لأنّنى كردى أو سوري. هويّتى هى مواقفى من أوطانى الكثيرة والتى ما تزالٍ فى تزايد. هويّتى أن أكون متصالحًا مع قناعاتي. والقناعات ليست سجونا أدبيّة. هويتى أن أكون نفسي، لا ما يريدوه الآخرون لى أن أكون.

●خضتَ معارك ثقافية جمة ضد الزيف والسرقة يفضل الكثير البعد عنها والحديث عنها فى المجالس المغلقة لا الفضاءات المفتوحة؟

- ويا ليت أولئك الذين يلتزمون الصمت، وينأون بأنفسهم عن الجهر بالرأى والموقف، حافظوا على صمتهم. أنا راضٍ بذلك أيضًا.

لا أزعم أنّنى مقاتل فى جيش الحقيقة، وضالّتى كشف اللصوص والسرقات الأدبيّة. لكن إذا صادفت ورأيتُ مختلسًا أو مختلسة فى حقول الكتابة، لا ولن أكتم رأيى وموقفي، سأواجههُ ولن يرهبنى اسمه وحشوده وعلاقاته، ومستعدٌّ لدفع الأكلاف والأثمان. أخذتُ من الكرد عنادهم وصبرهم وتهوّرهم، ومن العرب أدبهم وبلاغتهم أثناء المحاججة، ومن الفرس حكمتهم، ومن الترك قوّتهم ولؤمهم، ومن البلجيك حنكتهم ورقيهم وحلاوة وطلاوة لسانهم، ومن الفرنسيين اعتدادهم بأنفسهم، ومن الألمان منطقيّتهم فى هندسة الكلام.

فى الكتابة السياسيّة، انتقدتُ أنظمة وقادة وأحزاب مدججة بالحشود والأمن والجيوش، فهل تريد منّى أن أكتم رأيى وموقفى أمام جريمة اختلاس أدبى هنا أو هناك؟ أعرض رأيى معززًا بما بين يديّ من أدلّة وأسانيد موثقّة، "والبيّنة على من يدّعي" خلاف ذلك. لا ترهبنى حشود وميليشيات هذا الكاتب أو تلك الكاتبة. لن أكون شاهد زور على جريمة اختلاس أدبي، سواء بكتم صوتى أو الجهر به. طالما الاختلاس الأدبى جرم يعاقب عليه القانون، فـ"الساكت عن الجريمة شريك فيها". المرء منّا يدخل هذه الحياة بصرخة، من العار أن يغادرها صامتًا، كاتمًا صوته.

● كيف تقيم الجوائز العربية هل هى منصفة من وجهة نظرك؟

- قلت رأيى فى هذا الأمر كثيرًا، ولم أغيّره. أنا مع الجوائز الأدبيّة شريطة ألاّ يقدّم الكاتب أيّة تنازلات للجهة الراعية أو الداعمة للجائزة. إذا فعل ذلك، باع نفسه للجائزة، ولم ينلها بكده واجتهاده الأدبي. أنا مع الجوائز الأدبيّة لأنّ المستفيد منها ليس فقط الكاتب/ة وحسب، بل الناقد المحُكّم، والمترجمون، والصحافيون، والناشر، ومصممو الأغلفة والمدقّقون اللغويّون، وموظّفو دور النشر، وعمّال الطباعة. أنا معها حتّى لو صدّرت روايات متواضعة لا تستحق الوصول إلى القوائم الطويلة. أنا معها لأنّها تحرّك المشهد، وتخلق حافزًا للكتابة وأملاً بالفوز لكل كاتب أو كاتبة. هل لها سلبيّات: طبعًا. ولكن إيجابيّاتها أضعاف أضعاف سلبيّاتها.

● كيف ترى الحالة الثقافية فى مصر؟

- كأيّة حالة ثقافيّة فى العالم العربيَ، لها ما لها وعليها ما عليها. شديدة التنوّع، فيها المخلص والموهوب، والمزيّف المدّعي، فيها الدءوب والشغوف بالأدب وببناء نفسه بنفسه، والكاتب الأمنجي، الإمّعة، صاحب الوشايات والتقارير. فيها الناجح الهادئ، والحسود الحقود البلطجي. الساحة المصريّة ثريّة وغنيّة وشاسعة، إلى جانب الشلل والعلل فيها، هناك دائمًا مساحة للإنصاف والصدق والموضوعيّة والاتزان.

أحبُّ مصرَ لسبعة أنيال تجرى فيها؛ نيل الأدب، نيل السينما، نيل المسرح، نيل الدراما، نيل الرواية، نيل النقد، نيل الصحافة، وثامنها؛ النيل العظيم الذى يتدفّق منذ الأزل وإلى الأبد.

● شيء تتمنى وجوده أو اختفاءه من الثقافة العربية؟

- الأشياء التى أودُّ اختفاءها: الاختلاسات الأدبيّة، الشلليّة الغبيّة البلهاء، التخندق الإيديولوجي. أمّا الأشياء التى أتمنّى وجودها، فهى خلاف أو نقيض ما سلف ذكره.

● ماذا عن مشاريعك القادمة؟

- كتابة رواية بوليسيّة، أحاول تقديمها بطريقة أعتقد أنّها ستكون مختلفة عن الفهم والتعريف التقليدى المتداول عن هكذا روايات.

حوار: د. عبدالكريم الحجراوي